النهار
الأربعاء 25-09-2019 العدد 26956

رحيل الرسّامة هوغيت كالان التي بقيت طفلة على مشارف التسعين

محمد شرف

رحلت هوغيت كالان، إبنة بشارة الخوري أول رئيس للجمهورية اللبنانية، عن 88 عاماً. الفنانة التي بدأت الرسم في سن السادسة عشرة تحت إشراف الفنان الإيطالي فرناندو مانيتي، تأخرت في دراسة الفن، إذ لم تنهِ دراستها في الجامعة الأميركية ببيروت إلاّ في العام 1968، لتقيم معرضها الأول في "دار الفن والآداب"، التي صارت تُعرف لاحقاً بإسم صاحبتها جانين ربيز.

شاءت المصادفة، أو المنطق ربما، أن يُقام معرضها الأخير، وهي في الرابعة والثمانين، في الغاليري نفسها، حيث اعتادت الفنانة أن تطل منها على الجمهور اللبناني منذ العام 1993. كما أقيم لها معرض إستعادي، العام 2013، في "مركز بيروت للمعارض"، ضم نماذج من مختلف تجاربها ومراحلها الأسلوبية، في ما يختصر 50 عاماً من مسيرتها الفنية. خلال هذه المسيرة استطاعت هوغيت كالان أن تنال اعترافاً عالمياً، سبق اللفتة اللبنانية إليها التي جاءت متأخرة. هذا الإعتراف شرّع لها أبواب الصالات الأوروبية والأميركية والمزادات العالمية من مثل سوثبي وكريستيز، ويعود ذلك لكونها هاجرت إلى فرنسا، ومن ثم إلى الولايات المتحدة الأميركية، وكان لتنقلّها بين أمكنة عدة تأثير واضح في تطوّر المنطلقات الفنية والنواحي الأسلوبية التي اعتمدتها في تلك المسيرة.

من رسوم ذات طابع إيروتيكي ذات حرية وجرأة واضحتين، قد تكون أحرجت المتلقي ولم تحرج الفنانة، إلى العمل على زخارف للسجاد والبسط والعباءات الشرقية، مروراً بمنحوتات تجمع ما بين التجسيد التمثيلي والتجريد الصافي، وصولاً إلى العمل على الشكل الفني، والشغف بعالم روحي غارق في الرموز والإشارات، استلهم بعضاً من لويزا بورجوا وبعضاً آخر من بول كلي، نقول إنه من خلال هذه المراحل كلَها استطاعت هوغيت كالان أن تبلغ مرتبة فنية مرموقة. هذه الفنانة، ذات المزاج الخاص، كانت قادرة على إحداث الصدمة وانتزاع الدهشة، وهي ذات الروح المتمرّدة والمتعلّقة بنسويتها، مع ما تحتويه من أسرار، بما يتناقض مع واقع عربي لا يزال يحفل بالذكورة. أما التنوّع الذي ميّز مسيرة كالان، فكان له أسباب عدّة يعود بعضها إلى علاقتها بالظرف المكاني، وإلى التأثير الذي قد يتركه لديها المحيط الفني والثقافي في شكل عام. فقد ارتبطت بصداقات مع شعراء وكتّاب، نذكر منهم، على سبيل المثل، أدونيس وصلاح ستيتية وأندريه شديد وسواهم، إضافة إلى لقائها بالنحات جورج أوستو.

ونظراً إلى تفلّتها من قيود كثيرة، وخصوصاً في ما يتعلّق بالنواحي الأكاديمية من جهة، أو في ما يتصل بعلاقتها بمسألة الفن بمجملها، فقد أطلقت عليها جملة من الصفات كـ"الفنانة اللعوب"، أو "الفتاة التي لا تكبر"، وخصوصاً لدى معاينة الرسوم التي نفّذتها بعدما تعدّت الثمانين، والتي كانت لا تزال تحمل روحاً طفولية تجلّت، ضمن مظاهر أخرى، في التلاعب الذي بلغ حد السوريالية، من خلال تفكيك الجسد وإعادة تركيبه على طريقتها، أو عبر تضمين اللوحة خطوطاً ونصوصاً وأشكالاً بلا قيود أو شروط. من خلال ذلك كلّه شاءت الفنانة الراحلة أن تدهشنا، وقد نجحت في ذلك من دون شك.